

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية العلوم الاسلامية

قسم /العقيدة والفكر الاسلامي

الاعجاز النفسي في القرآن الكريم

م.د عدنان حسن موسى سلمان العبيدي

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء ، فلم يجد به قديراً ، وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيراً ، ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عنّ لهم من مصالحهم ليدبروا آياته ولينتذكر أولو الألباب تذكيراً ، فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات هي رموز الخطاب تأويلاً وتفسيراً ، وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت ، وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيراً ، ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويبطهرهم تطهيراً ، فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فهو في الدارين حميد وسعيد ، ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعيش ذميماً ويصلى سعيراً .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين مُحَمَّدٌ وعلى آله وصحبه أجمعين .

فإن أهمية القرآن تلقي بظلمها الوارف على أي بحث أو جهد يرتبط به ارتباط تقديس وتعظيم ، ومن هنا نشطت الجهود لتتبع الظواهر الإعجازية في القرآن الكريم ، للكشف عن أسرار هذا الكتاب المعجز ، في نظمه ولفظه وصوته .. المعجز في معانيه ، المعجز في أثره ، المعجز في كل شيء ، كيف لا وهو كلام الذي ليس كمثله شيء .

ولم ينل كتاب في الدنيا دراسات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم بيد أنه رغم استبحار ووفرة الدراسات القرآنية ، إلا أن القرآن الكريم لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية : قال تعالى ((قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)) .

كل هذا كان ماثلاً أمام ناظري ، فعقدت العزم بإذنه تعالى على أن أنال شرف البحث في القرآن الكريم وعلومه ، وقبض الله تعالى لي هذا الشرف في بحث قدمته حمل عنوان ((الاعجاز النفسي في القرآن الكريم)) .

اقتضت خطة الدراسة الى تقسيم البحث على مقدمة واربعة مباحث حمل المبحث الاول منها الى تعريف الاعجاز لغة واصطلاحاً ، والمبحث الثاني وجوه اعجاز القرآن الكريم والمبحث الثالث معنى الاعجاز النفسي والمبحث الرابع موقع الاعجاز النفسي بين وجوه الاعجاز القرآني وانتهيت هذه الدراسة بخاتمة موضحة فيها اهم النتائج التي توصلت اليها وقائمة باهم المصادر التي اعتمدتها عليها .

اللهم إن أصبت فأعني ، وإن أخطأت فاعفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين ، وصلواته على أوسطهم قائد الغر المحجلين مُحَمَّدٌ سيد البشر والشفيع المشفع في المحشر وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المبحث الاول تعريف الإعجاز في اللغة والاصطلاح

أولاً . الإعجاز في اللغة :

قال ابن فارس : " العين والجيم والزاء أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على الضَّعف والآخر على مؤخَّر الشيء . فالأول عَجَزَ عن الشيء يعجز عَجْزاً ، فهو عاجِزٌ ، أي : ضَعِيف . وقولهم : إِنَّ العَجَرَ نَقِيزُ الحَزْمِ فمن هذا ؛ لأنه يَضْعُفُ رأْيُه . ويقولون : (المرء يَعْجِزُ لا مَحَالَةَ) . ويقال : أعجَرنِي فلانٌ ، إذا عَجِزَتْ عن طلبه وإدراكه . ولن يُعجزَ الله تعالى شيء ، أي : لا يَعجزُ الله تعالى عنه متى شاء " (١) .

وفي القرآن : ﴿ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣) .

والعَجْزُ : نقيض الحَزْمِ ، وَعَجَزَ عن الأمر يَعْجِزُ وَعَجِزَ عَجْزاً فيهما ؛ ورجل عَجِزٌ وَعَجِزٌ : عاجِزٌ . وامرأةٌ عاجِزٌ : عاجِزةٌ عن الشيء وَعَجِزَ فلانٌ رأيَ فلان ، إذا نسبه إلى خلاف الحَزْمِ ، كأنه نسبه إلى العَجْزِ . ويقال : أعجَرتُ فلاناً إذا أَلْفَيْتُه عاجِزاً . والمعجَزةُ والمعجَزة العَجْزُ (٤) .

والتَّعْجِيزُ : التَّنْظِيطُ ، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ (٥) ؛ معناه ظانِّين أنهم يُعْجِزُونَنَا لأنهم ظنوا أنهم لا يُبْعَثُونَ وأنه لا جنة ولا نار (٦) .

(١) مُعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ ، لأبي الحَسَنِ أَحْمَدَ بنِ فَارِسِ بنِ زَكْرِيَا ، (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : عَبْدُ السَّلَامِ هَارُون ، دَارُ الكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ ، بَيْرُوتُ ، بلا تاريخ : مادة (عَجَز) ٢/ ٢٣٢ .

(٢) سورة الجن : من الآية ١٢ .

(٣) سورة العنكبوت : من الآية ٢٢ ، سورة الشورى : من الآية ٣١ .

(٤) يُنْظَرُ لِسَانُ الْعَرَبِ . لأبي الْفَضْلِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدَ بنِ مَكْرَمِ بنِ مَنْظُورِ الْأَفْرِيقِيِّ الْمِصْرِيِّ (ت ٧١١ هـ) . الطَّبَعَةُ الْأُولَى . دَارُ صَادِرِ . بَيْرُوتُ . لُبْنَانُ . ١٩٦٨م : مادة (عَجَز) ٥/ ٣٧٣ ؛ وَالْقَامُوسُ الْمُحِيطُ . لأبي الطَّاهِرِ مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّدَ بنِ يَعْقُوبِ الْفَيْرُوزَابَادِيِّ الصَّدِيقِيِّ الشَّيرَازِيِّ . (ت ٨١٧ هـ) . مَوْسُةُ الرِّسَالَةِ . بَيْرُوتُ . لُبْنَانُ . (د . ت) مادة (عَجَز) : ٢ / ٦٦٤ .

(٥) سورة الحج : من الآية ٥١ .

(٦) يُنْظَرُ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . لأبي جَعْفَرِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدَ بنِ إِسْمَاعِيلِ الْمُرَادِيِّ النَّحَّاسِ . (ت ٣٣٨ هـ) . تَحْقِيقُ : مُحَمَّدُ عَلِي الصَّابُونِي . الطَّبَعَةُ الْأُولَى . جَامِعَةُ أُمِّ الْقُرَى . مَكَّةُ الْمُرُومَةِ . ١٤٠٩ هـ : ٥/ ٣٩٣ ؛ الصَّحَّاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَّاحُ الْعَرَبِيَّةِ ، لِإِسْمَاعِيلِ بنِ حَمَادِ الْجَوْهَرِيِّ ، (ت ٣٩٣ هـ) ، تَحْقِيقُ : أَحْمَدُ عَبْدُ الْغَفُورِ عَطَا ، الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّةُ ، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ ، بَيْرُوتُ ، لُبْنَانُ ، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧م : مادة (عَجَز) ٣/ ٨٨٤ .

وقيل في التفسير : " مُعَاجِزِينَ معاندين وهو راجع إلى الأول وقرئت مُعَجِّزِينَ ، وتأويلها : أَنَّهُمْ يُعَجِّزُونَ مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَيُثَبِّطُونَهُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْإِيمَانِ بِالْآيَاتِ وَقَدْ أَعْجَزَهُمْ " (١) .

ومعنى الإعجاز : " الْفَوْتُ وَالسَّبْقُ ، يقال : أَعْجَزَنِي فلان ، أي : فاتني ؛ وقال الليث : أَعْجَزَنِي فلان إذا عَجَزْتَ عَنْ طَلْبِهِ وَإِدْرَاكِهِ . ويقال : عَجَزَ يَعْجِزُ عَنْ الْأَمْرِ إِذَا قَصَرَ عَنْهُ . ويقال : فلان يُعَاجِزُ عَنْ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ ، أي : يلجأ إليه .وَالْمُعْجِزَةُ : واحدة مُعْجِزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ . عَلَيْهِ السَّلَامُ . " (٢) .

والمعجزة : مشتقة من الإعجاز ، وهي اسم فاعل له ولحققتها تاء التأنيث بعد نقلها من الوصفية للاسمية (٣) .

والإعجاز مصدر الفعل عجز ، وفعله رباعي هو أعجز ، تقول : أعجز يعجز إعجازاً واسم الفاعل معجز (٤) .

وعن أصل العجز يقول الراغب : " والعجز أصله التأخر عن الشيء ، وحصوله عند عجز الأمر .. وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة . قال تعالى : ﴿ أَعْجَزْتَ أَنْ أَكُونَ ﴾ (٥) وأعجزت فلاناً وعجزته وعاجزته : جعلته عاجزاً " (٦) .

(١) تفسير القرآن . لعبد الرزاق بن همام الصنعاني . (ت ٢١١ هـ) . تحقيق : د . مصطفى مسلم مُحَمَّد . الطبعة الثانية . مكتبة الرشد . الرياض . ١٤١٠ هـ : ١٢٦/٣ .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس . لمحيي الدين أبي الفضل مُحَمَّد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي . (ت ١٢٠٥ هـ) . مكتبة الحياة . بيروت . (د . ت) : مادة (عجز) ٥٣/٤ .

(٣) يُنْظَرُ : حَاشِيَةُ الْعَلَامَةِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّائِي الْمَالِكِي الْخَلَوْتِي ، (ت ١٢٤١ هـ) عَلَى شَرْحِ الْخَرِيدَةِ الْبَهِيَّةِ ، لِأَبِي الْبَرَكَاتِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الدَّرْدِيرِ الْعَدَوِيِّ الْمَالِكِي ، (ت ١٢٠١ هـ) ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، بلا تاريخ : ٩٧ .

(٤) الْمِصْنَبُاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ . لِأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِي الْفَيُومِي الْمَقْرئ . (ت ٧٧٠ هـ) . تصحيح : مصطفى السقا . الطبعة الأولى . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر . ١٤٩٠ هـ : ١٤٩/٢ .

(٥) سورة المائدة : من الآية ٣١ .

(٦) الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ ، لِأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِالرَّائِغِ الْأَصْفَهَانِي ، (ت ٥٠٢ هـ) ، أعده للنشر وأشرف على الطبع : د . مُحَمَّدُ أَحْمَدُ خَلْفُ اللَّهِ مَكْتَبَةُ الْأَنْجَلُو الْمَصْرِيَّةِ ، بلا تاريخ : ٣٢٢ .

وعلى هذا فإعجاز القرآن الكريم يعني تفوقه وسبقه في كل مجال كان فيه التحدي بما لا يستطيع أحد أن يصل إليه أو يضاهيه .

ثانياً . الإعجاز في الاصطلاح :

المعجزة : " أمر خارق للعادة ، دافع إلى الخير والسعادة ، مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله " (١)

وقيل : هي الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدي (٢) .

وقال القاضي عبد الجبار : " معنى قولنا في القرآن أنه معجز : أن يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به " (٣) .

وقال الداودي : " هي الأمر الخارق للعادة ، السالم من المعارضة يظهره الله تعالى على يد نبي ، تصديقاً له في دعوى النبوة " (٤) .

والإعجاز في الكلام : هو تأديته بطريق أبلغ من كل ما عداه من الطرق (٥) .

وتوضيح ذلك أن الإعجاز في شيئين ، هما :

١ . ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته .

٢ . ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه ، فكأن العالم كله في

(١) الثَّعْرِبَات . لأبي الحَسَن علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف . (ت ٨١٦ هـ)

. تَحْقِيق : إبراهيم الأبياري . الطَّبْعَةُ الْأُولَى . دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ . بَيْرُوت . ١٤٠٥ هـ : ٢٨٢ .

(٢) مجمع البُحْرَيْن . لفخر الدِّين الطريحي . (ت ١٠٨٥ هـ) . تَحْقِيق : أَحْمَد الحسيني . الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة . مكتب نشر الثقافة الإسلاميَّة . ١٤٠٨ هـ : ١٢٦/٣ .

(٣) الْمُغْنِي فِي أَبْوَابِ الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيد . للقاضي أَبِي الحَسَن عَبْدُ الْجَبَّارِ الْأَسَدِ أَبِي بَادِي الْمُعْتَزَلِي ، (ت ٤١٥ هـ) ، حرر نصه : أمين الخولي ، أشرف على إحيائه : طه حسين ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، القاهرة ، بلا تاريخ : ٢٢٦/١٦ .

(٤) شَرْحُ جَلال الدِّين الدَّوَانِي عَلَى الْعَقَائِدِ الْعُصْدِيَّة . الطَّبْعَةُ الْأُولَى . دَارُ الطَّبَاعَةِ الْعَامِرَةِ . ١٣١٧ هـ : ٢٧٦/٢ .

(٥) التَّوْقِيفُ عَلَى مَهْمَاتِ التَّعَارِيف . لِمُحَمَّد عَبْدُ الرَّؤُوفِ الْمَنَاوِي . (ت ١٠٣١ هـ) . تَحْقِيق : د . مُحَمَّد رضوان الداية . الطَّبْعَةُ الْأُولَى . دَارُ الْفِكْرِ الْمَعَاوِر . دمشق ، ودار الفكر للطباعة والنشر . بَيْرُوت . ١٤١٠ هـ : ٧٥ .

العجز إنساناً واحداً ، ليس له غير مدنه المحدودة بالغة ما بلغت (١) .

وهذه التعريفات متقاربة في مدلولاتها ، تشير جميعها إلى أن المعجزة أمر خارق للعادة يظهر الله تعالى به صدق أنبيائه ورسله . عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

ويشترط في المعجزة :

١. أن تكون فعلاً من الأفعال المخالفة لما تعود عليه الناس وألفوه.
٢. أن يظهره الله تعالى على يد من يدعي النبوة.
٣. أن يكون الغرض من ظهور هذا الفعل الخارق هو تحدي المنكرين، سواء صرح النبي صاحب المعجزة بالتحدي أو كان التحدي مفهوماً من قرائن الأحوال.
٤. أن تجيء المعجزة موافقة ومصدقة لدعوى النبوة، فإذا حدثت المعجزة وكذبت النبي في دعواه فلا يكون النبي صادقاً، كما لو نطق الجماد مثلاً بتكذيب صاحب المعجزة.
٥. أن يعجز المنكرون عن الإتيان بمعجزة مماثلة لمعجزة النبي، أي يعجزون عن معارضته (٢) .

وإذا كان هذا معنى الإعجاز ، فبإضافته إلى القرآن ، ومنهما يكون مصطلح : (إعجاز القرآن) يكون المراد : إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به ، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله ، فهو من إضافة المصدر إلى فاعله ، والمفعول محذوف للدلالة على عموم من تحداهم القرآن ، وهم الإنس والجن ، وكذلك ما تعلق به الفعل محذوف للعلم به ، وهو القرآن أو بعضه كما ثبت في كثير من آيات التحدي .

ويكتمل بيان المراد بهذا المصطلح إذا عرفنا أن إعجاز القرآن من تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته ، وليس هو الغاية في نفسه ، ولكن المقصود هو اللازم الناتج عن هذا الإعجاز ، وهو إظهار وإثبات أن هذا الكتاب حق ، ووحى من عند الله تعالى ومقتضى ذلك كله إثبات صدق الرسول . صلى الله عليه وسلم . فيما جاء به قومه من الرسالة ، ودعاهم إليه من الإسلام ، وعليه فإن

(١) يُنْظَرُ : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي . ضبطه وصححه وحقق أُصُولُهُ :

مُحَمَّدُ سعيد العريان . الطبعة الرابعة . مطبعة الاستقامة . ١٣٥٩ هـ . ١٩٤٠ م : ١٣٩ .

(٢) بحوث في الثقافة الإسلامية . تأليف عدد من أساتذة جامعة قطر : ٢٧٥ .

حقيقة الإعجاز وهي إثبات العجز لمن وقع عليه التحدى استلزمت إظهار هذا العجز ، وهذا الإظهار بدوره استلزم إظهار صدق رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وهو المقصود الأول من الإعجاز .

من هذا يتبين التوافق بين الاستخدامين اللغوي والاصطلاحي ، إذ أن المعنى الاصطلاحي جاء متوافقاً مع أصل اللغة .

ثالثاً . استعمال الإعجاز في القرآن الكريم :

لم يرد لفظ الإعجاز أو المعجزة في القرآن الكريم على وفق ما هو شائع في الاصطلاح اليوم ، وإن كان الوارد من الصيغ والعبارات متوافقاً مع أصل اللغة ، لكنها جاءت للدلالة على نفي العجز عن القدرة الإلهية رداً على مزاعم التشكيك بالقرآن الكريم وبما جاءت به الرسل ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (١) ، وهو الغالب على ما وردت به الآيات القرآنية ، إلا في موضع واحد استعملت لبيان العجز البشري في قوله تعالى حكاية عن ابن آدم : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (٢) .

ولو تساءلنا عن سبب عدم ورود لفظ (الإعجاز) في القرآن الكريم مع أنه ورود فيه تحدي الإنس والجن به ؟

فالجواب عن هذا : أنه ليست غاية القرآن إظهار عجز الأنبياء والرسل ومن آمن بدعوتهم ، فهذا ليس الغرض الذي أنزل من أجله ، بل أنزل لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وتكليفهم بما افترضه الله تعالى عليهم ، وأن وصف القرآن بالمعجز أو الإعجاز يوحي بتعذر العمل به ، أو العجز عن الإتيان بالأحكام التكليفية ، وهذا يتنافى مع دعوة التيسير التي جاء بها ، والمعبر عنها بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

ولهذا نرى استعمال ألفاظ أخرى لهذا الغرض مثل البرهان ، والسلطان ، والآية

(١) سورة الأنعام : الآية ١٣٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣١ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .

، والتي بينت الإعجاز مع فتحها لباب الرحمة الربانية فالآية والبرهان قد يتحقق فيهما شرط الإعجاز ، حين يكون المقصود كشف الزيف والدعوى ، والاعتداد بالذات والقوة ، وإقامة الحجة على المنكرين وتعريفاً بأفعال الله وأسمائه وصفاته^(١) .

لكنها تبقى حتى يراها من بعدهم فيتبين لهم أنه الحق^(٢) .

إذاً لو نصت آيات الذكر الحكيم على وجوه الإعجاز لكفر جاحدها أو الشاك فيها ، فمن رحمة الله تعالى بنا أن القرآن الكريم لم يتركنا في حيرة ، بل وجهنا في الآية بعد الآية إلى تدبر مواطن الإعجاز التي تقود إلى إدراك ما لا يتناهى ، فيرى كل متدبر حسب سلامة فطرته وقوة بصيرته ، فقد يدرك الباحث وجهاً من وجوه الإعجاز بينما يدرك أهل عصر ما لا يدركه غيرهم في عصر آخر^(٣) .

(١) يُنظَرُ : الإعجاز العلمي للقرآن بين الظن والتحقيق ، للدكتور عبد الجليل عبد الرحيم ، بحث مقدم إلى الإعجاز القرآني ، بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المنعقد ببغداد ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية ، مطبعة الأمة ، بغداد ، ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠ م : ص ٢٢٥-٢٢٦ .

(٢) يُنظَرُ : مباحث في إعجاز القرآن ، للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، بيروت ، بلا تاريخ : ٣١-٣٥ .

(٣) يُنظَرُ : القرآن يتحدى ، لأحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، دار السعادة ، الطبعة الأولى ، مصر ، بلا تاريخ : ٢٤٣ .

المبحث الثاني . وجوه الإعجاز في القرآن الكريم :

من أهم وجوه الإعجاز القرآني :

- ١ . الإعجاز اللغوي وينقسم على : الإعجاز البياني والإعجاز بالنظم والإعجاز الصوتي وحسن تأليفه والتتام كلمه وفصاحتها .
- ٢ . الإعجاز الغيبي وينقسم على ثلاثة أقسام على حسب عصر النبوة : غيب الماضي ، وغيب الحاضر . أي عصر النبوة . وغيب المستقبل
- ٣ . الإعجاز التشريعي .
- ٤ . الإعجاز العلمي وينقسم على ثلاثة أقسام : الإعجاز الكوني ، والإعجاز الطبي ، والإعجاز العددي .

إن دراسة الإعجاز تلزم بيان حقيقة مهمة ، وهي أن القرآن الكريم تفرد بالإعجاز ، وليس كلام الله فيما سواه من التوراة والإنجيل والأحاديث القدسية وغيرها بمعجز من ناحية النظم ، وإن كان معجزاً فيما يخبر عنه من المغيبات ؛ لأن الله لم يصفه بما وصف به القرآن ؛ ولأنه لم يقع به التحدي^(١) .

. أثر الإعجاز في انتشار الإسلام :

إن الاهتمام بالإعجاز تقف وراءه جملة أسباب لعل في مقدمتها أثره في انتشار الإسلام ، إذ لم ينتشر على سطح الأرض دين بالسرعة التي انتشر فيها دين سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . سواء كان ديناً سماوياً أو أرضياً ، ففي مدة لا تتجاوز الربع قرن من الزمن انتشر الإسلام في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية ، ثم تتابعت الفتوحات بعد ذلك إلى أن وصلت إلى حدود الصين شرقاً وجبال البرنس في فرنسا غرباً كل ذلك بسبب أناس انطلقوا بتأثير القرآن فيهم ، ففتحوا البلاد ودوخوا العباد حتى انتشر الصيت الإسلامي في كل أنحاء العالم ، ولقد كان تأثير القرآن في نشر الدعوة الإسلامية على جانبيين :

الجانب الأول : فصاحة القرآن وبلاغته وروعة بيانه التي تسيطر على عقول الخاصة والعامة منهم ، فكانوا اتجاه ذلك على ثلاثة انقسامات : منهم من عرف الحق فآمن ، ومنهم من استكبر لكنه آمن بعد ذلك متأخراً ، ومنهم من عرف الحق ومات على إنكاره .

(١) يُنْظَرُ : مباحث في إعجاز القرآن : ٣٥ .

الجانب الثاني : هو موافقة الحقائق في عصرنا الراهن للقرآن الكريم الذي تحدث عنها قبل أربعة عشر قرناً من الزمن ، فزاد أهل الإسلام تمسكاً بدينهم ، وتعرف كثير من المثقفين الغرب إلى أن الإسلام حق بوساطة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم^(١) .

ومصدق ذلك قوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^(٢) .

رابعاً . أهمية علم الإعجاز :

من بداهة القول أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم على رسوله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . هداية للناس في شتى مناحي حياتهم إلى أقوم طريق وأهدى سبيل ، وذلك مما ينبئ عنه حذف متعلق الهداية في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾^(٣) ، بل إن هذا الهدف الأعظم هو أول ما يطالع القارئ لكتاب الله تعالى مفتتح المصحف في أول سورة منه بعد الفاتحة ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٤)

ومن المعلوم أن الاهتداء بالقرآن فرع عن معرفة معانيه وفهمها ، وطريق ذلك علم التفسير ، ذلك العلم الذي نبتت نابتته الأولى في عهد رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . عندما كان يسأله أصحابه . رضوان الله عليهم . عما يشكل عليهم فهمه من القرآن ، فيجيبهم ، وكذلك عندما كان . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . يعلمهم ابتداء ما يعلم أنهم في حاجة إلى تعلمه ، ولا سبيل لهم إليه إلا ببيانه . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كانت تلك البذور الأولى ، ثم نما علم التفسير ، وتطور عبر قرون الإسلام ، من الرواية إلى التدوين والتصنيف .

إن هدى القرآن ، وهو مقصود نزوله إنما يكون بتفسيره ، ومعرفة ما فيه من الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، والمحكم والمتشابه ، والحلال والحرام وغير ذلك ، ولذلك كان من تعريف العلماء لعلم التفسير ما قاله الزركشي : " هو علم نزول الآية

(١) يُنْظَرُ : المعجزة لكشف إعجاز جديد في القرآن الكريم ، لعبدان الرفاعي ، دار الخير ، بيروت ،

١٩٩٧م : ١٤ .

(٢) سورة فصلت : من الآية ٥٣ .

(٣) سورة الإسراء : من الآية ٩ .

(٤) سورة البقرة : الآيتان ١-٢ .

وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها.. وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها ووعدا ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها " (١) .

وحول هذا المعني جاء تعريف الزرقاني . رحمه الله تعالى . لعلم التفسير في عبارة أجمل فيها تفصيل الزركشي ، مبيناً الغرض النهائي لهذا العلم فقال : " والتفسير في الاصطلاح : علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية " (٢) .

ولما كان الهدف النهائي من ذلك كله هو الاهتداء بالقرآن المترتب على فهم معانيه التي يتوصل إليها بتفسيره ، فيمكن القول إن تعريف التفسير هو : " إنه علم يتوصل به إلى معرفة كيفية الانقياد لأمر الله تعالى فيما أنزله على رسوله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وذلك أن ما سبق من التعريفات إنما يؤدي إلى الغاية نفسها " (٣) .

" ولما كان القرآن قد أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين ، فإن القيام على تفسيره لابد أن ينبني على معرفة باللغة العربية وخصائصها ، ودلالات ألفاظها ، وأوجه بلاغتها .

ولذلك قال الطاهر بن عاشور : " إن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغاً حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملاً على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آية المفسرة ، بمقدار ما تسمو إليه الهمة من تطويل واختصار ، فالمفسر بحاجة إلى بيان ما في آي القرآن من طرق الاستعمال العربي ، وخصائص بلاغته " (٤) .

وعلى هذا فإن هناك ترابطاً لا ينفك بين النص المعجز والمعنى الشامل لسبيل الهداية كلها ، فغرض الإعجاز أمر يسبق في التقرير غرض الهداية ؛ لأن الناس إذا

(١) البُزْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ، لأبي عَبْدِ اللَّهِ بدر الدِّين مُحَمَّد بن عَبْدِ اللَّهِ بن بهادر الزَّرْكَشِي الشَّافِعِي ، (ت ٧٩٤ هـ) ، تحقيق : مُحَمَّد أَبِي الْفَضْلِ إِبْرَاهِيم ، دَارُ الْمَعْرِفَةِ ، بَيْرُوت ، ١٣٩١ هـ : ١٦٣/٢ - ١٦٤ هـ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمُحَمَّد عَبْدَ الْعَظِيمِ الزَّرْقَانِي ، (ت ١٣٦٧ هـ . ١٩٤٨ م) تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دَارُ الْفِكْرِ للطباعة والنشر ، بَيْرُوت ، ١٩٩٦ م : ٣/٢ .

(٣) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ : ٣/٢ .

(٤) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ، لمُحَمَّدِ الطَّاهِرِ بنِ عَاشُور ، الدار التونسية للنشر ، سنة ١٩٨٤ م : ١٠٢/١ .

دعوا إلى العمل بمنهج ما ، فلا بد من قناعتهم بسلامة مصدر هذا المنهج حتى ينقادوا له عن طمأنينة ، والإعجاز . في هذا المجال . قد أدى الغرض فأوفى ، فيه عرف أن القرآن كلام رب الناس وخالقهم ، والأعلم بما يصلح لهم ويصلحهم ، وفضلاً عن إعجاز ما تضمنه القرآن في مجال الهداية كذلك من سمو تشريعه ، وعلو دعوته^(١)

وهذا يؤكد أن العناية بإعجاز القرآن إجمالاً وتفصيلاً من أكثر الأمور ضرورة ، وهو ما نبه إليه العلماء قديماً وحديثاً .

قال الباقلاني . رحمه الله تعالى : " ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه ، ما كان لأصل دينهم قواماً ، ولقاعدة توحيدهم عماداً ونظاماً ، وعلى صدق نبيهم . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . برهاناً ، ولمعجزته ثبوتاً وحجة ، ولا سيما والجهل ممدود الرواق ، شديد النفاق ، مستول على الآفاق ، والعلم إلى عفاء ودروس " (٢) .

ثم يقول : " وقد كان يجوز ممن عمل الكتب النافعة في معاني القرآن ، وتكلم في فوائده من أهل صنعة العربية وغيرهم من أهل صناعة الكلام أن يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته والدلالة على مكانه ، فهو أحق بكثير مما صنفوا فيه : من القول في الجزء ، ودقيق الكلام في الأغراض ، وكثير من بدیع الإعراب ، وغامض النحو ، فالحاجة إلى هذا أمس والاشتغال به أوجب " (٣) .

لقد منَّ الله على العلماء بحفظ هذا العلم ، فتابعنا في ذلك المصنفات لتؤكد أن الكلام في إعجاز القرآن واجب لا يسع الأمة في مجملها تركه ، وهو ضرب من ضروب الكفاية ، " فالكلام في وجوه إعجاز القرآن واجب شرعاً ، وهو من فروض الكفاية ، وقد تكلم فيه المفسرون ، وبلغاء الأدباء والمتألقون " (٤) .

وما زال العلماء والأدباء يعنون بالقرآن الكريم من جهة إعجازه ، خدمة لهذا

(١) يُنْظَرُ : عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، للدكتور مُحَمَّدُ السيد راضي جبريل ، منشورات كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ٢٠٠٤ : ١٥ .

(٢) إعجاز القرآن ، لأبي بكرٍ مُحَمَّد بن الطيب بن مُحَمَّد بن جعفر بن القاسم الباقلاني ، (ت ٤٤٠٣ هـ) ، تحقيق : السيد أَحْمَد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، بلا تاريخ : ٢٢ .

(٣) إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٣ .

(٤) يُنْظَرُ : المقدمة التي كتبها السيد مُحَمَّد رشيد رضا صاحب مجلة المنار لكتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) للرافعي : ٢٠ .

الكتاب الكريم ، الذى شرفنا الله تعالى بالانتساب إليه ، ومنّ علينا بالاهتداء به : ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (١) .

المبحث الثالث : معنى الإعجاز النفسي

أولاً : معنى الإعجاز النفسي

أول ما ينبغي الإشارة إليه أن التعريفات المقعدة لمعنى الإعجاز النفسي هي تعريفات معاصرة. ولم أجد تعريفاً للعلماء السابقين لتعريف الإعجاز النفسي، ويرجع ذلك إلى أن العلماء السابقين كانوا يربطون الإعجاز النفسي بالإعجاز البياني، ويعتبرونه ثمرة من ثمرات البيان، لا. يمكن فصله عنها ^{٢٠}

وإذا نظرنا إلى التعريفات التي ذكرها العلماء للإعجاز النفسي نجد أنها تبحث في مجالين ، أما المجال الأول فهو حديث القرآن عن النفس الإنسانية وبيانه لصفاتها وكشفه لخباياها وخفاياها.

أما المجال الثاني فهو تأثير القرآن في النفس الإنسانية سواء أكانت مؤمنة أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات. ومن العلماء الذين وضعوا تعريفاً خاصاً للإعجاز النفسي الدكتور فضل حسن عباس حيث يقول: "هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم. (وما يفرحهم وما يحزنهم، وعن بيان لمكونات النفس وخفاياها ودوافعها في آي القرآن" ^٣ ويعرفه الدكتور أحمد شكري بأنه: "عدم مقدرة الكافرين أن يأتوا بكلام مثل القرآن في (بلاغته وبيانه وفي تأثيره العظيم في نفوس قارئيه وسامعيه" فهذا يظهر لنا أن تأثير القرآن الكريم في النفوس يرتقي ويفوق ويتميز عن تأثير غيره من كلام الأدباء والحكماء والفصحاء والشعراء وغيرهم، فأى كلام آخر لا يمكن أن تصل درجة تأثيره إلى درجة تأثير القرآن الكريم ومعظم تلك التأثيرات سلبية تؤدي إلى سقوط والانحدار

بخلاف تأثير القرآن إيجابياً ورقياً كما أن تأثير تلك الأعمال لحظي سرعان ما ينمحي وتزول

آثاره بخلاف تأثير القرآن الكريم الممتد أثره

(١) سورة الزخرف : الآية ٤٤ .

^٢ - الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، ط ٣ ٤١٣ هـ ١٩٩٢ م ص ٣٣٤

^٣ - عباس، إعجاز القرآن، دار الفرقان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ط ٥، ص ٣

وإذا قمنا بربط المصطلحات السابقة يتبين لنا أن الإعجاز النفسي في القرآن الكريم هو مقدرة القرآن الكريم على اكتشاف مكنونات النفس البشرية واستخراج مخزون حفاياها ومخاطبتها بما تفعل بأسلوب يستحيل على غيره من صدق الكلام وفنونه^١ ويعد سوق أقوال العلماء والباحثين نجد أن الإعجاز النفسي له جانبان: أولهما المتعلق بأسلوب القرآن من ناحية، والثاني المتعلق بكشف الخفايا والأسرار الإنسانية التي لا يمكن لأحد من البشر الاطلاع عليها، وهذا من أوضح وجوه الإعجاز التي تدل دلالة واضحة أن القرآن الكريم ليس من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : أول من أشار للإعجاز النفسي:

ويعد أول من أبرز هذا النوع من الإعجاز الإمام الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)^٢ وأشار إلى هذا الوجه بعبارة صريحة لا تحتمل التوجيه والإبهام، حيث يقول في رسالته "بيان إعجاز القرآن": "في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها من الوجيب"^٣ .

١ - الإعجاز النفسي في القرآن الكريم دراسة تاصيلية رسالة ماجستير من اعداد عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود ص ٣٢- ٣٣ .

٢ - هو أبو سليمان، محمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ، ويعد من علماء أهل السنة (والجماعة البارزين، وعرف بمؤلفاته الجلية مثل غريب الحديث، ومعالم السنن، وأعلام السنن، ورسالة ، بيان إعجاز القرآن، ينظر العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٤ ص ٣٤ .

٣ - وجب القلب وجيباً ووجباً: خفق واضطرب ورجف. انظر المعجم الوسيط، مادة وجب، ١٠٢٣/٢ .

ثم ذكر الخطابي عدداً من حوادث السيرة ومن الآيات التي تبين تأثير القرآن في النفوس، ويلحظ أن الخطابي لم يسم هذا الوجه من الإعجاز، إلا أن عبارته الجميلة في تصويره وتقريب معناه واضحة تماماً ومعبرة عن المقصود. مما ينبغي الإشارة إليه أن رسالة الخطابي "بيان إعجاز القرآن الكريم" هو من أول الكتب التي وصلت إلينا في الإعجاز، ومع هذا تراه مثبتاً لوجه الإعجاز النفسي. وهناك العديد من العلماء بحثوا في الإعجاز ولم تصل إلينا كتبهم فربما أشاروا إلى هذا الوجه في كتبهم . المفقودة، ولهذا تم اعتماد أن أول من نادى بهذا الوجه الإمام الخطابي^١ .

^١ - ينظر إعجاز القرآن، للدكتور صلاح الخالدي، ، ص ٨٢ ، كتاب إعجاز القرآن للدكتور فضل عباس، ص. ٨). وبحوث في الإعجاز، الدكتور أحمد شكري، ص ١٠

المبحث الرابع :موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز القرآني :

انقسم العلماء المجيزون لوجود الإعجاز النفسي إلى مذاهب في موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز وشكلوا مذاهب على النحو الآتي:

المذهب الأول:

من قال إنه أول وجوه الإعجاز وأنه وجه مستقل من وجوه الإعجاز:وقد أشار محمد فريد وجدي إلى هذا النوع من الإعجاز في كتابه دائرة معارف القرن العشرين، وكان مغالياً في هذا الجانب فجعله الوجه الأول حيث يقول: "إننا وإن كنا نعتقد أن القرآن قد بلغ الغاية من هذه الجهة -أي البلاغة- إلا أننا نرى أنها ليست الجهة الوحيدة لإعجازه، بل ولا هي أكثر جهات إعجازه سلطاناً على النفس، فإن للبلاغة على الشعور الإنساني

تسلطاً محدوداً لا يتعدى حد الإعجاب بالكلام والإقبال عليه، ثم يأخذ هذا الإعجاب والإقبال بالضعف شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه حتى يستأنس به الإنسان فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدث في مبدأ توارده عليها. وليس هذا شأن القرآن، فقد ثبت أن تكرار تلاوته تزيده تأثراً. والعلة في نظرنا واضحة لا تحتاج لكثير تأمل وهي أن القرآن روح من أمر الله تعالى ... نعم إن جهة إعجاز القرآن هي تلك الروحانية العالية التي قلبت شكل العالم وأكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله في أرضه، وأرغمت لهم معاطس الجبابة والقساورة^١ ووطئت لهم عروش الأكاسرة والقيصرة حتى صاروا ملوك الملوك وإخوان الملائكة في مدة لا يصعب عد سنينها على الأصابع، ولا مشاحة في أن القرآن فصيح قد أخرج بفصاحته فرسان البلاغة وقادة الخطابة وسادة القوافي وملوك البيان وهو حكيم بهر سماسرة الحكمة والفلسفة وأدهش أساطين القوانين والشريعة، وحير أراكين النظام والدستور ...^١

١ - الإعجاز النفسي دراسة تأصيلية ص ٧١-٧٢ ووجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مطبعة

دائرة معارف القرن العشرين، ١٣٤٢ هـ -)

٦٧٩- ٦٧٦ / ١٩٢٤ م، ٧

٦٧٧.

وقد علق على هذا الرأي الدكتور أحمد شكري حيث قال: "ولا يخفى ما في هذا الكلام من تكلف، وبدلاً من الحمل على القائلين بأن وجه الإعجاز في بلاغة القرآن ونفي وجود آيات تشير إلى بلاغة القرآن اللفظية كان يكفيه التوفيق بين الوجهين، وتبيين أن تأثير القرآن بسبب البلاغة الفائقة التي فيه أو أنهما وجهان بالغا الأهمية في إظهار الإعجاز فلا يطغى أحدهما على . الآخر ولا يردده^{٢٠}

المذهب الثاني : أن الإعجاز النفسي وجه مستقل، وهذا الذي عليه جمهور العلماء.

١. فالقاضي عياض جعله الوجه السادس من وجوه الإعجاز بعد حسن التأليف والتنظام كلمه وقصاصته ونفحه العجيب وأسلوبه الغريب وإخباره عن المغيبات وإخباره عن القرون .(السالفة والأمم البائدة^{٢١}

٢. أما الإمام الزركشي فقد نقل اثني عشر وجهاً من وجوه الإعجاز وعلق بعدها بأن .(القرآن يشمل جميع ما سبق ومنها الروعة التي له في القلوب

٣ - وذكر ذلك محمد رشيد رضا عند حديثه في الفصل الرابع عن إعجاز القرآن في أسلوبه وبلاغته وتأثيره ، وقد فصل القول في فضل القرآن في نفس الأمة العربية وإحداثها له أكبر ثورة عالمية ثم فعله في أنفس مشركي العرب، ثم حديثه عن فعل القرآن في أنفس المؤمنين .

٤ -أما الإمام الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) فقد جعله الوجه الرابع عشر من وجوه الإعجاز وقد فصل القول به مثبتاً تأثير القرآن في نفوس الأعداء والمؤمنين الأولياء وعلق على ذلك بقوله: "هذا التأثير الخارق أو النجاح الذي نتحدث فيه، أدركه ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وإمعان ونصفه، حاذقاً لأساليب العربية، ملماً بظروفه وأسباب

نزوله. أما الذين لم يحذقوا لغة العرب ولم يحيطوا بهذه الظروف والأسباب الخاصة، فيكفيهم أن

١ - المصدر نفسه ص ٧٣ .

٢ - ينظر شكري، بحوث في الإعجاز والتفسير، ص ١٣٧

٣ - ينظر شكري، بحوث في الإعجاز والتفسير، ص ١٣٨ .

يسألوا التاريخ عما حمل هذا الكتاب من قوة محولة غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك، عن طريق استيلائها على قلوب المخاطبين به لأول مرة استيلاء أشبه بالقهر وما هو بالقهر، وأفعل من السحر وما هو بالسحر، سواء في ذلك أنصاره وأعداؤه، ومخالفوه ومخالفوه! وما ذاك إلا لأنهم ذاقوا بسلامة فطرتهم العربية بلاغته، ولمسوا بحاستهم البيانية إعجازه، فوجد تياره الكهربائي موضعاً في نفوسهم لشرارة ناره، أو لهطول غيثه وانبلاج أنواره^١.

٥ - وكذلك من العلماء الذين اعتبروه وجهاً مستقلاً الدكتور أحمد شكري، حيث أعد بحثاً في الإعجاز النفسي وتعرض فيه وجمع أقوال العلماء وناقش الأقوال ومن ثم رجح كونه وجهاً مستقلاً حيث يقول: "وبعد عرض هذه الآراء الثلاثة في موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز يأتي دور محاولة التوفيق"، ويرى الباحث تبعاً لمعظم من تعرض للحديث عن الإعجاز النفسي أنه وجه مستقل من وجوه الإعجاز وأنه يقع في موقع متميز بين وجوه الإعجاز لأنه أمر يتعامل معه الجميع ويتعرض له، ولآثاره كل تال وسامع ولو في فترة أو مرة بخلاف بعض وجوه الإعجاز التي اختص بالتعامل بها عدد محدد ولا يكاد يشعر بها كثير من المتعاملين (بالقرآن وأنه وثيق الصلة بالإعجاز البياني وثمرته من ثمراته الكثيرة^٢).

^١ - الزرقاني، مناهل العرفان، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

^٢ - شكري، بحوث في الإعجاز والتفسير، ص ١

المذهب الثالث : وهم العلماء الذين اعتبروا الإعجاز النفسي تابعاً لوجه الإعجاز البياني ولا يعتبر وجهاً مستقلاً.

١ - فمن هؤلاء الإمام الرافعي، حيث ذكره عند حديث الحروف وأصواتها والكلمات وحروفها والجمل وكلماتها وجعل أول أنواع الأصوات:

صوت النفس وعرفه فقال: هو الصوت الموسيقي الذي يتكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها وحركاتها، ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوية، وعلى نسق متساوٍ بحيث تكون الجملة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس وإن وقف عند هذا المعنى قطع به. ثم أشار إلى صوت العقل وصوت الحس. فيقول بعد ذلك: وعلى مقدار ما يكون في (الكلام البليغ من هذا الصوت يكون فيه من روح البلاغة ^١ .

ومما سبق يتبين لنا أن الإمام الرافعي يعد الإعجاز النفسي جزءاً من الإعجاز البياني (للقرآن الكريم، إعجاز النظم والبلاغة والألفاظ ^٢ .

٢ - ويرى وكذلك الدكتور فضل حسن عباس، حيث يقول: "نحن لا ننكر تأثير القرآن على النفوس فتلك قضية بديهية ولكن الذي نناقشه هنا أن نعهده وجهاً منفصلاً عن بيان القرآن وبلاغته وبديع نظمته... ثم يقول والذي نراه جديراً بالقول إن هذا الوجه ناشئ عن بلاغة القرآن وعلو (شأنه وبديع نظمته ^٣ .

^١ - من خلال كلامه يتضح لنا اعتباره للإعجاز النفسي ثمرة للإعجاز البياني

^٢ -الرافعي، إعجاز القرآن الكريم، ص ٢ .

^٣ - د.عباس، إعجاز القرآن، ص ٣٣٤ .

المبحث الرابع : أصول وضوابط ومسوغات جعل الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز القرآني:

أولاً: أصول وضوابط الإعجاز النفسي:

على الباحث في الإعجاز النفسي في القرآن الكريم أن يسير وفق ضوابط وأصول معتمدة ومنضبطة في بحثه في الإعجاز وهذه الأصول يجب أن تجمع في داخلها بين الآيات القرآنية وعلم النفس، ومن أهم وأبرز هذه الأصول:

- ١ - النظر إلى الكلمة القرآنية وحروفها وإبراز الأثر البياني وانعكاساتها على نفس السامع، مما يورثه خشوعاً وشعوراً بالوجل والخوف، وهذا مصداق لقوله تعالى ((الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله ماله من هاد))^١
٢. النظر في الآيات القرآنية التي تبرز أثر القرآن الكريم في النفس والاستشهاد بالأحاديث النبوية قدر الإمكان .

- ٣ - النظر في جوانب الإعجاز النفسي ما يتعلق بالبلاغة والبيان، وذلك فيما عرض القرآن من أساليب في الإيجاز والتشبيه والاستعارة والمبالغة وغيرها .

٤. النظر في الآيات القرآنية التي تكشف خفايا النفس الإنسانية وذلك من خلال:

أ. النظر في الآيات التي تبين صفات النفس الإنسانية مثل التكليف والعمل والكسب والهوى والتزيين والتسويل والوسوسة والحسد والظلم والتفريط واللوم والاطمئنان والرضى والأمر بالسوء والإلهام وغيرها.

ب. النظر في الآيات التي تبين مراتب النفس الإنسانية.

ج. النظر في الآيات التي تكشف عيوب وأمراض النفس الإنسانية، وعلاجها، مثل الحقد والحسد والشح والبخل والطمع والحرص وحب الدنيا والعجب والكبر والرياء والغرور والغضب والغيط واليأس والقنوط والغفلة والنسيان.

^١ - سورة الزمر الآية ٢٣

٥. النظر في الآيات التي تبين إرشادات القرآن للوقاية من الأمراض النفسية وذلك من خلال:

١. النظر في الآيات التي تدعو للإيمان بالله وبيان أثرها النفسي.
٢. النظر في الآيات التي تدعو للإيمان بالقدر وبيان أثرها النفسي.
٣. النظر في الآيات التي تدعو للإيمان بالأجل وبيان أثرها النفسي.
٤. النظر في الآيات التي تبين ثمرات العبادات وبيان أثرها في النفس.
٦. النظر في الآيات التي تبرز خفايا النفس الإنسانية، وبيان أثرها النفسي ومثال ذلك:
 - أ. القرآن الكريم يبين أن الناس جميعاً مخلوقون من نفس واحدة.
 - ب. القرآن الكريم يوضح فطرة النفس وأنها مجبولة على الإيمان والتوحيد.
 - ج. القرآن الكريم يبين أن الله مطلع على أسرار النفس الإنسانية.
 - د. القرآن الكريم يدعو الإنسان للتأمل في النفس ومكوناتها.
 - هـ. القرآن الكريم يبين ازدواجية الاستعداد في النفس الإنسانية.
 - و. القرآن الكريم يبين أسرار النفس المخالفة لظاهر القول.
 - ز. القرآن الكريم يصحح المعتقدات.
 - ح. القرآن الكريم يكشف عن أحقاد المنافقين وأهل الكتاب ضد الإسلام
٧. النظر في الآيات التي تبين الإعجاز النفسي في القرآن الكريم فيما يتعلق بالعبادات كالصلاة والدعاء والصيام والزكاة والحج والصبر والذكر وغيرها.
٨. النظر في الآيات التي تبين جوانب الإعجاز النفسي في القرآن الكريم فيما يتعلق بالآداب عامة ذات الأثر النفسي، وذلك من خلال:
 - أ. مراعاة نفسية الأخوة المسلمة.
 - ب. مراعاة نفسية الضيف والمضيف.
 - ج. مراعاة نفسية المدعو والمخطئ.
 - د. مراعاة نفسية المجاهد.
 - هـ. مراعاة نفسية الأب والابن.

و. مراعاة نفسية كل من الزوجين

٩. النظر في الآيات التي تبين الإعجاز النفسي في القرآن الكريم فيما يتعلق بالعقوبات وبيان

أثرها النفسي، وذلك من خلال:

أ. بيان أثر الحدود في النفس الإنسانية.

ب. بيان أثر القصاص في النفس الإنسانية^١ . . .

^١ - ينظر الاعجاز النفسي في القرآن الكريم دراسة تأصيلية ص ٧٧ .

الخاتمة ————— واهم النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

لقد جاءت هذه الدراسة مبينة وجهاً آخر من وجوه الإعجاز القرآني ألا وهو الإعجاز

النفسي، وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة :

١. الإعجاز النفسي في القرآن الكريم وجه مستقل من وجوه الإعجاز القرآني.

٢. معنى الإعجاز النفسي في القرآن الكريم: هو عدم المقدرة على الإتيان بكلام مؤثر في

النفس المشاعر مثل القرآن في محاكاته للنفس البشرية، وكشف خفاياها بأسلوباً خاذ.

٣. أول من ذهب إلى القول بالإعجاز النفسي الإمام الخطابي.

٤. ينبنى الإعجاز النفسي على أصول نظرية وأخرى تطبيقية، أما النظرية فتتمثل في

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأدلة العقلية التي تدل على تأثير القرآن الكريم في

النفس الإنسانية، ويختص الجانب التطبيقي بتحليل الآيات والأحاديث تحليلاً لغوياً بلاغياً

يبرز الأثر النفسي.

٥. من جوانب الإعجاز النفسي ما يتعلق بالبلاغة والبيان، وذلك فيما عرض القرآن من

أساليب في الإيجاز والتشبيه والاستعارة والمبالغة وغيرها .

٦. من جوانب الإعجاز النفسي في القرآن الكريم ما يتعلق بخفايا النفس الإنسانية، وذلك من

خلال:

أ. بيان صفات النفس الإنسانية مثل التكليف والعمل والكسب والهوى والتزيين والتسويل

والوسوسة والحسد والظلم والتفريط واللوم والاطمئنان والرضى والأمر بالسوء والإلهام

وغيرها.

ب. بيان مراتب النفس الإنسانية.

ج. كشف عيوب وأمراض النفس الإنسانية، وعلاجها، مثل الحقد والحسد والشح والبخل

والطمع والحرص وحب الدنيا والعجب والكبر والرياء والغرور والغضب والغيط

والياس والقنوط والغفلة والنسيان.

د. إرشادات القرآن للوقاية من الأمراض النفسية وذلك من خلال:

١. الإيمان بالله وأثره النفسي.

٢. الإيمان بالقدر وأثره النفسي.

٣. الإيمان بالأجل وأثره النفسي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المصادر

القران الكريم

- ١ - . الإِتقان في علوم القرآن ، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، بهامشه إعجاز القرآن للباقلاني ، الطبعة الثالثة ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٩٥١ م .
- ٢ - . أسرار البلاغة ، للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، (ت ٤٧١ هـ) ، تحقيق : د . ريتز ، استانبول ، مطبعة وزارة المعارف ، ١٩٥٤ م .
- ٣ - التّعريفات . لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف . (ت ٨١٦ هـ) . تحقيق : إبراهيم الأبياري . الطبعة الأولى . دار الكتاب العربي . بيروت . ١٤٠٥ هـ .:
- ٤ - تفسير القرآن . لعبد الرزاق بن همام الصنعاني . (ت ٢١١ هـ) . تحقيق : د . مصطفى مسلم محمد . الطبعة الثانية . مكتبة الرشد . الرياض . ١٤١٠ هـ .
- ٥ - تاج العروس من جواهر القاموس . لمحيي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي . (ت ١٢٠٥ هـ) . مكتبة الحياة . بيروت . (د . ت)
- ٦ - معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بلا تاريخ .
- ٧ - معاني القرآن الكريم . لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس . (ت ٣٣٨ هـ) . تحقيق : محمد علي الصابوني . الطبعة الأولى . جامعة أم القرى . مكة المكرمة . ١٤٠٩ هـ .
- ٨ - تفسير القرآن . لعبد الرزاق بن همام الصنعاني . (ت ٢١١ هـ) . تحقيق : د . مصطفى مسلم محمد . الطبعة الثانية . مكتبة الرشد . الرياض . ١٤١٠ هـ .
- ٩ - تاج العروس من جواهر القاموس . لمحيي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي . (ت ١٢٠٥ هـ) . مكتبة الحياة . بيروت . (د . ت)
- ١٠ - البرهان في علوم القرآن ، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ، (ت ٧٩٤ هـ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ،

١١ - الإعجاز النفسي في القرآن الكريم دراسة تاصيلية رسالة ماجستير من اعداد عبد الله علي عبد الرحمن أبو السعود ص ٣٢ - ٣٣ .

١٢ - الخالدي، صلاح عبد الفتاح، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، ط ٣ ١٣٤١ هـ ١٩٩٢

١٣ - عباس، إعجاز القرآن، دار الفرقان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ط ٥،

١٤ - عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، للدكتور مُحَمَّد السيد راضي جبريل ، منشورات كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .